خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
في حفل استقباله

السيد الأستاذ نائب رئيس مجمع اللغة العربية.
سادتي الزملاء أعضاء المجمع ـــ سيداتي سادتي.

إن التقدير المعنوي الذي يحظى به المرء من زملائه ومجتمعه، هو بنظري أعلى ما يسمو إليه طموح الإنسان المثقف. وتتفاوت حظوظ البشر، فيما يتعلق بالزمن الذي يشعر به الأفراد والمجتمع بالمحبة والتقدير لأحد مواطنيهم. فمن الناس من عاش ومات مغموراً مقهوراً، بالرغم مما بذله من جهد وقام به من خدمات وتضحيات. ومنهم من نال التقدير والتكريم باكراً، فتمتع بالمزية التي حصل عليها، فازداد عطاؤه وكثر إنتاجه. ومنهم من يأتيه التكريم متأخراً، فيجدد شبابه، ويعيد إليه نشاطه، وينسيه ما عانى في الأيام الماضية من مشقةٍ ونصب في سبيل الحصول على تلك المحبة والثقة.

أيها السيدات والسادة: إنه لمن دواعي سروري واعتزازي أن أقف أمامكم محاضراً، بمناسبة انتخابي من قبل السادة أعضاء المجمع اللغوي الموقر، والذين منحوني ثقتهم وتقديرهم، وشرفوني بترشيحهم لي عضواً عاملاً، لأشارك في أداء رسالة هذا الصرح العلمي العظيم، فلهم أقدم احترامي وشكري رئيساً وأعضاء عرفاناً بالفضل والجميل.

وإنني أنتهز هذه الفرصة لاتقدم بالشكر الجزيل لسيادة الرئيس القائد، على إصداره مرسوم التعيين، وهو الذي يعود إليه أكبر الفضل في دعم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المؤسسات العلمية وتشجيع البحث العلمي وتكريم العلم والعلماء.

كما أشكر الأخ الكريم الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان، وذلك لتقديمي إليكم، معدِّداً ما قمت به من خدمات وإنجازات متواضعة في حقل التدريس والتأليف الجامعي وتحقيق التراث العلمي العربي.

وإنني إذ أشكره على ما أسداه لي من معروفٍ أرجو من الله أن يشدّ أزري ويساعدني على بذل الجهد في خدمة لغتنا الحبيبة.

لقد شاء القدر أيها السادة أن أكون منذ حداثتي قريب السكن والدراسة من المدرستين الظاهرية والعادلية. ولما كان الدخول في حرمهما مباحاً أيام العطلِ الأسبوعية، لذلك كثر ترددي عليهما طفلاً ويافعاً وطالباً جامعياً.

لقد أنشئ متحف الآثار في مدينة دمشق عام ١٩١٩، وأُلحق بالمجمع العلمي العربي، وأصبح مقرّهما هنا في المدرسة العادلية. وكثيراً ما كان الفضول وحب الاستطلاع يدفعاني للدخول إلى هذا الفناء الجميل لمشاهدة تلك الآثار القديمة، والتي تعشقتها منذ الصغر.

وحينما انتسبت إلى مدرسة التجهيز كان من حسن حظي أن يكون أكثر أساتذة اللغة العربية فيها من قدماء أعضاء المجمع. وهذا ما كان يشجعنا، أنا وزملائي الطلاب، على حضور بعض تلك المحاضرات التي كانت تعقد أيام الجمعة، وبهذه الصورة تعرفت عن بعد على أكثر الأعضاء المؤسسين لهذا المجمع.

لقد كان المرحوم الأستاذ محمد البزم أول مجمعي درسنا اللغة العربية في السنة الأولى في مكتب عنبر. وكان يحمل في جيب ردائه، عند حضوره، دفتراً ممتلئاً بأبياتٍ مختارة من الشعر، أطلق عليها اسم الفوائد في اللغة. وقد وجد في حفظنا لها خير وسيلةٍ لتدريبنا على الإعراب، وعلى معرفة قواعد اللغة العربية وحسن النطق بها.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وخلال السنتين التاليتين رعانا أستاذ مجمعي آخر هو الشيخ عبد القادر المبارك، وكان رحمه الله مشهوراً بسرعة الخاطر وسعة الاطلاع. وقد تولّى تدريسنا إلى جانب اللغة العربية علوم الدين والسيرة النبوية. وفي السنتين الأخيرتين من مرحلة التعليم الثانوي أكرمنا الله فكان من أساتذتنا المرحومين: الدكتور كامل عياد أساتذ الأخلاق والمنطق، والدكتور جميل صليبا أستاذ علم النفس، والدكتور يوسف العش أستاذ تاريخ الحضارة، والدكتور محمد المبارك أستاذ الترجمة والنصوص اللغوية، وجميعهم كانوا من أعضاء هذا المجمع العاملين أو المؤازرين.

وحينما انتقلت إلى الجامعة السورية عام ١٩٤٠ التحقت بفرع الصيدلة، وكان قد مضى على تأسيس المعهد الطبي العربي عشرون سنة. لقد تعهد أساتذة هذا المعهد بفروعه الثلاثة الطب والصيدلة وطب الأسنان على القيام بمهمة التدريس باللغة العربية، كما سعوا إلى جعل لغتنا تتسع لجميع ما استحدث في علوم الطب والصيدلة. ويقول المرحوم الأمير مصطفى الشهابي «إن كل أستاذٍ من أساتذة هذا المعهد قد عكف على نخل المصطلحات التي جاءت في كتب الطب القديمة وفي الكتب المصرية والتركية وكتب الكلية الأمريكية. وألف هؤلاء شبه مجمعٍ لغوي ينظر فيما يعرضه عليه كل أستاذ من ألفاظ العلم الذي يُدرّسه. وهكذا استطاع أساتذة المعهد الطبي العربي أن يؤلفوا كتباً جليلة في فروع الطب المختلفة».

ومن الأمور التي ساعدت على توحيد المصطلحات العلمية في ذلك المعهد بكامل فروعه اشتراك أعضاء الهيئة التدريسية، في تحرير مجلةٍ دورية تولى رئاستها المرحوم الأستاذ الدكتور مرشد خاطر. وقد انتشرت هذه المجلة، إلى جانب المؤلفات العلمية لأساتذة المعهد، في أرجاء الوطن العربي، فشجّعت المجامع والمؤسسات التعليمية على تبني ما ورد فيها من مصطلحات، كما شجعت حملات التعريب، والتي لمّا نزل نسمع صداها يتردد في جميع الأقطار العربية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سيداتي سادتي

لقد نص النظام الداخلي لمجمع اللغة العربية على أن يقوم العضو الجديد، حينما يستقبله زملاؤه رسمياً في جلسةٍ عامة، بإلقاء خطابٍ يترجم فيه عن سلفه المتوفى، ويأتي على ذكر سيرته وما أنجز من مؤلفاتٍ وأعمالٍ علمية ولغوية.

وبما أنني انتخبت خلفاً للأستاذ المرحوم الدكتور ميشيل الخوري، لذلك يطيب لي ويشرفني أن أقوم بهذه المهمة، نظراً لما كان يربطنا من صداقةٍ وودّ، ولما كنت أشعر نحوه من تقدير واحترام.

كان الدكتور الخوري رحمه الله مثالاً للعالم المتواضع والباحث المدقّق. عفيف اللسان، سليم القلب، دمث الأخلاق. حريصاً على اتقان اللغة العربية والنطق الصحيح بها، كحرصه على إتقان اللغتين الانكليزية والفرنسية. انتُخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية عام ١٩٧١، خلفاً لعضوٍ راحل هو المرحوم الأستاذ الدكتور مرشد خاطر. وقد شاءت الصدف أن يكون كل من العضو الراحل والعضو المنتخب لبناني الأصل، جامعاً للثقافتين العربية والأجنبية.

ـــ لقد امتاز هذان العالمان باعتزازهما بعروبتهما، وشغفهما باللغة العربية، وكان لدخولهما سلك التدريس في المعهد الطبي العربي، مع زملاء آخرين من القطر اللبناني أهمية تعليمية وأخرى لغوية. ذلك لأن أساتذة الرعيل الأول في ذلك المعهد كانوا من خريجي المدرسة الطبية العثمانية في الاستانة أو في دمشق، حيث كان التدريس باللغة التركية. وبهذه الصورة جمع المعهد الطبي كفاءات علمية ولغوية، نمت وترعرعت في أقطار عربية وأجنبية منذ أواخر القرن الماضي.

ـــ ولد الدكتور ميشيل الخوري عام ١٩٠٢ في البترون، وهي إحدى قرى لبنان الساحلية. وأنهى دراسته الابتدائية في مدرسةٍ تابعةٍ للآباء المرسلين الأمريكان في مدينة جبيل. ثم تابع دراسته الثانوية في مدينة طرابلس، حيث تعلم اللغات الثلاث: العربية والانكليزية والفرنسية في مدرسة أمريكية. وفي عام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩٢٣ نال شهادة الدكتوراه في جراحة وطب الأسنان، بدرجة الشرف، من الجامعة الأميركية في بيروت.

لقد صرّح الأستاذ الخوري رحمه الله، في الحفل الذي أُعد لاستقباله، عند انتخابه في مجمع اللغة العربية، أن الفضل يعود لأساتذته الذين رعَوْه وثقّفوه، وزيّنوا له حب العلم وحب اللغة العربية.

لقد مهّد هؤلاء الأساتذة أمامه الطريق إلى دمشق، فأتاها كما قال مسحوراً بعروبتها، مفتوناً باللغة العربية، لغة التعليم في جامعتها ومعاهدها. ففتحت له دمشق صدرها، وبسطت له جامعتها كفيها مرحبة. وفي تشرين الأول من عام ١٩٢٤ صدر قرار تعيينه رئيساً لمخبر صناعة الأسنان. ثم رُفّع بعد سنتين لوظيفة مدرّس لعلم مداواة الأسنان. وأخيراً حاز على كرسي الأستاذيّة لذلك المقرر عام ١٩٤٧.

عمل الأستاذ الخوري، أثناء خدمته في الجامعة السورية، طبيباً في المستشفى العسكري (١٩٢٥ ــ ١٩٤٥)، كما عُيّن فاحصاً لأطباء الأسنان في وزارة الصحة. وانتُخب نقيباً لأطباء الأسنان بدمشق في عامي (١٩٥٨ ــ ١٩٥٩).

ــ أُعير إلى كلية طب الأسنان بجامعة بغداد عام ١٩٦٢، حيث قام بتدريس مقرر ترميم الأسنان ومداواتها باللغة الانكليزية لمدة عامين.

لقد شارك المرحوم الأستاذ الخوري في تأسيس مجلة طب الأسنان السورية، والتي أصدرتها نقابة أطباء الأسنان عام ١٩٦٥، فكان في أول الأمر عضواً بارزاً في هيئة التحرير، ثم تولى رئاسة الهيئة عام ١٩٦٨، لكنه تخلّى عنها بعد انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية.

أسهم الأستاذ الخوري بصورة فعالة في تحرير تلك المجلة منذ صدور العدد الأول منها، فنشر موضوعاً متسلسلاً تحت عنوان (صفحة من تاريخ طب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسنان في سورية). تكلم فيه عن المراحل التي مرّت فيها هذه المهنة، بدءاً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما تكلم عن أقدم وأشهر من عمل في هذه المهنة في سورية.

كان قلع الأسنان عملاً مارسه أصحاب حرفٍ مختلفة، من حلاقين ونجارين وحدادين. ثم تحول إلى مهنةٍ مستقلةٍ أخذ يمارسها أناسٌ تعلموها عن طريق التلمذة والملازمة. وفي أواخر القرن الماضي تحوّل بعض قالعي الأسنان إلى صناع أسنان، وذلك بعد أن اكتشف استعمال المطّاط المتصلّب والأسنان الخزفية، في صناعة الأسنان المستعارة. ويقول الأستاذ الخوري إن هذا الإختصاص الجديد لم يلبث أن أُطلق عليه اسمُ طبيب الأسنان، تشبيهاً له بأطباء الجسم.

كان عدد العاملين في هذه الصناعة الجديدة قليلاً، وكانوا حريصين على الاحتفاظ بأسرار صناعتهم، لكنهم كانوا يبوحون بها لمن يُلازم في عياداتهم، بعد دفع مبلغ كبير من المال لهم.

لهذه الأسباب كلّها افتتح المعهد الطبي العربي في تشرين الأول من عام ١٩٢١ شعبةً لطب الأسنان، وجُعلت مدة الدراسة فيها أربع سنوات؛ بعد الدراسة الثانوية. وقد عمل الأستاذ الخوري، منذ تعيينه في هذه الشعبة، على تقدّم الدراسة وتطويرها، بالاشتراك مع زملائه الأساتذة، فأدّت جهودهم إلى تحويل تلك الشعبة إلى كليةٍ مستقلةٍ عام ١٩٥٩.

كان للدراسات العلمية التراثية مكانة خاصة في نفسِ المرحوم الأستاذ الخوري، لذلك كان يسعى جهده للاطلاع على المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبات القطر. كما سعى للحصول على نسخ مصورةٍ من نفائس كتب الطب العربي المحفوظة في المكتبات العالمية.

ــ وخلال الجلسة الثامنة لدورة ١٩٧١ــ١٩٧٢ بحث مجمع اللغة العربية في الكتاب الوارد من المجلس الأعلى للعلوم، بخصوص الاحتفال بذكرى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المائة التاسعة لميلاد الطبيب ابن زهر الأندلسي. وتقرر تكليف المرحوم بإلقاء كلمة المجمع في ذلك الاحتفال.

لقد قام الأستاذ الخوري في تلك الجلسة بتقديم حديثٍ عن حُنين بن اسحق الترجمان، فذكر نسبه الذي يعود في أصوله إلى العباديين، وهم قوم الشاعر عديّ بن زيد. ومن أولئك العباديين كان النساطرة واليعاقبة، الذين نقلوا إلى العربية تراثاً رائعاً من اللغتين اليونانية والسريانية. ثم تحدث بعد ذلك عن مدينة الحيرة، بلد حنين، وتعرَّض بحديثه إلى حياته ونشأته وإنتاجه، من ناحيتي الترجمة والتأليف.

أشار المرحوم الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح، أثناء تلك الجلسة، إلى وجود مخطوطٍ لحنين بن اسحق، عنوانه: (حفظ صحة الأسنان وإصلاحها) محفوظٍ في دار الكتب الظاهرية، وأنه كتاب يستحق العناية والدراسة. فأسرع الأستاذ الخوري إلى الاطلاع على ذلك المخطوط، فوجده ثميناً نادراً (ويحمل الرقم ٤٥١٦).

ـــ وحينما أعلن المجلس الأعلى للعلوم عن إقامة أسبوعه الثاني عشر (عام ١٩٧١)، قدّم المرحوم موضوعاً عنوانه (طبيبُ الأسنان حنين بن اسحق)، تكلم فيه عن ذلك المخطوط، وبيَّن أنه أقدم رسالة وضعت باللغة العربية في حفظ صحة اللثة والأسنان. وأنها تضم كثيراً من المصطلحات العلمية والتي لم نزل نستعملها حتى اليوم.

ـــ وخلال أسبوع العلم الثالث عشر، والذي عُقد في مدينة حلب (عام ١٩٧٢)، وبمناسبة الاحتفال بالذكرى التسعمائة لمولد الطبيب عبد الملك بن زُهر الإيادي، تحدث الأستاذ الخوري عن لغة هذا الطبيب وسيرته ومؤلفاته، كما تكلم عن عائلة ابن زُهر التي كانت تضم عدداً من الأطباء والطبيبات، ثم شارك بعد ذلك في تحرير كتاب ابن زهر الذي صدر عن المجلس الأعلى للعلوم احتفالاً بتلك الذكرى.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـــ وحينما عُقد أسبوعُ العلم الرابع عشر (عام ١٩٧٤) في مدينة دمشق، احتُفل فيه بالذكرى الألفية لميلاد العالم الشهير أبي الريحان البيروني. ولما كانت مؤسسة همدار الوطنية قد أتمت تحقيق وطبع كتاب (الصيدنَة في الطب للبيروني) في مدينة كراتشي، لذلك استفاد المرحوم من ذلك الكتاب وألقى محاضرةً عن أصل كلمة الصيدلة، وبين معناها بالاستناد إلى مختلف المراجع التراثية. كما تكلم بالتفصيل عن عقّارين ورد ذكرهما في كتاب البيروني، وهما الكهربا والألماس.

ـــ كنت ذكرتُ فيما سبق أن من بين اهتمامات الأستاذ الخوري المشاركة في انتخاب ووضع المصطلحات الطبية، لذلك نجد له في أعداد كثيرة من مجلة طب الأسنان السورية أبحاثاً لغوية متعددة، كان من أجملها وأعمقها بحث عنوانه (أسماء أجزاء العين في العلم واللغة)، مستنداً في ذلك إلى كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن اسحق.

لقد أراد المرحوم من بحثه هذا أن يتأكد من مدى التزام الأطباء والمؤلفين اللغويين باستعمال المصطلحات العلمية، التي ترجمها أو وضعها من سبقهم، من ناحيتي اللفظ والمعنى. فرجع إلى ثلاث مؤلفاتٍ طبيةٍ ظهرت في أزمنةٍ وأمكنةٍ مختلفة وهي:

١ ـــ كتاب القانون لابن سينا وهو من مؤلفات القرن الحادي عشر للميلاد.

٢ ـــ كتاب التيسير في المداواة والتدبير لعبد الملك بن زهر، وهو من مؤلفات القرن الثاني عشر.

٣ ـــ كتاب تذكرة أولي الألباب لداوود الأنطاكي، وهو من مؤلفات القرن السادس عشر.

وقد تبين له أن أصحاب تلك الكتب قد تقيدوا بمصطلحات حنين بصورةٍ عامة. ثم تساءل بعد ذلك عن المصدر الذي استقى منه حنين تلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصطلحات، هل هي يا ترى من مؤلفات أستاذه يوحنا بن ماسويه، صاحب كتاب دغل العين، أم من مؤلفات غيره من الأطباء أو اللغويين؟

وبنتيجة الدراسة المتعمقة لهذا الأمر توصل الأستاذ الخوري إلى القول بأن الأسماء العربية لأجزاء العين، كما ذكرها حنين، كانت الترجمة الصحيحة لأسمائها باللغة اليونانية، حسبما كانوا يعرفونه عن تركيبها التشريحي. ولكن حينما جاء القرن السادس عشر تبدلت النظرة التشريحية لأقسام العين، وأخذت أسماء جديدة.

ـــ لقد انعقد في مدينة الاسكندرية عام ١٩٧٤ مكتبُ اتحاد أطباء طب الأسنان. وكان من بين التوصيات تأليف لجنة دائمةٍ دُعيت لجنة: تعريب المصطلحات الطبية. وكان الأستاذ الخوري أحد أعضائها المنتخبين.

إلا أن هذه اللجنة كما يبدو لم تستطع إتمام مهمتها، بدليل أن جميع كليات طب الأسنان في العالم العربي، عدا القطر السوري، لما تزل تدرِّس المقرراتُ فيها بإحدى اللغتين الفرنسية أو الانكليزية.

مما سبق يتبين لنا أن الإنجازات العلمية واللغوية للمرحوم الأستاذ الدكتور ميشيل الخوري كانت كثيرةً ومتعددةَ الجوانب، لهذا يتعذر الكلامُ عنها بإسهاب خلال هذه المحاضرة. وسأكتفي بإلقاء الضوء على كتابين قيمين له، أنجز الأول منهما عام ١٩٧٠، وهو معجم مصطلحات تعويض الأسنان، والذي نال على أثر تأليفه ونشره شرفَ العضوية في مجمع اللغة العربية. أما الكتاب الثاني فهو مخطوط لأبي مروان عبد الملك بن زهر الإيادي، وعنوانه (التيسير في المداواة والتدبير). وقد أتم المرحوم تحقيقه قبيل وفاته عام ١٩٨٠، ولكن لم يتمّ طبعه ونشره إلا في عام ١٩٨٣.

يمتاز معجم مصطلحات تعويض الأسنان الذي قام بوضعه المرحوم الأستاذ الخوري، عن بقية المعجمات اللغوية بعدة صفات أهمها:

أولاً ـــ هو معجم اختصاصي، جمع فيه مؤلفه ما يزيد عن ألف وستمائة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مصطلح، في علم شاعت تسميته بصناعة الأسنان. وقد فضل الدكتور الخوري تسميته بمعجم مصطلحات تعويض الأسنان، لأنه يفيد معنى التزويد بالأسنان الصنعية، وليس المقصود صنعها وتحضيرها.

ثانياً ــ رتبت المصطلحات العلمية في هذا المعجم بالاستناد إلى اللغتين الانكليزية والفرنسية. ووضع أمام كل مصطلح أجنبي ما يقابله باللغة العربية، مع شرح مفصل لمعنى المصطلح.

ثالثاً ــ زوّد المعجم بفهرسين، أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الفرنسية.

رابعاً ــ اعترف المرحوم بفضل زملائه الذين قاموا خلال نصف قرن بتعليم طلاب الطب والصيدلة وطب الأسنان باللغة العربية في الجامعة السورية سابقاً وجامعة دمشق حالياً، فاستفاد من جهودهم في التعريب، وضمّن معجمه كثيراً من المصطلحات التي قاموا بوضعها أو نحتها أو ترجمتها.

ويقول أخيراً إنه إذا كان ثمّة قصور في تأليف معجمه فإنه يعود إلى كونه عملاً فردياً، ولم يكن عملاً جماعياً، على نحو ما نشاهده في تأليف المعجمات العربية والأجنبية.

أما كتاب التيسير لابن زهر فقد عرف وترجم إلى اللغتين اللاتينية والعبرية قبل أن يعرف وينشر في شرق العالمين العربي والإسلامي. ويقول ابن زهر في مقدمة كتابه إن أحد الأمراء المرابطين أشار عليه بوضع كتاب في تصنيف علاجاتٍ للأسباب الممرضات، تكون خفيفة المؤونة، تصلح لعباد الله الأبرار، سهلاً وفي غاية الايجاز والاختصار.

ويبدو أن الأمير، بعد أن تصفح كتاب التيسير، لم يجده مطابقاً لما أمر به، لذلك يقول عبد الملك بن زهر: «لقد دخل علّي، في خلال وضعي له، من كان كالموكّل علي فيه. فلم يرضه مني ذلك، فقال: إن الانتفاع به لمن يحذق شيئاً من أعمال الطب بعيد، وإنه ليس على ما أمر به، ولا على غرضٍ مما يريد» لذلك قام ابن زهر بتذييله بجزء منحط الرتبة، كما يقول، دعاه بالجامع.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ألفه مضطراً، وخرج فيه عن الطريقة المثلى كارهاً، ووضعه بحيث لا يخفى على المريض ولا على من حول المريض.

ويعود الفضل للمرحوم الأستاذ الخوري بتحقيق هذا الكتاب الطبي الهام، تحقيقاً علمياً صحيحاً، معتمداً على أربع نسخ مصورة لمخطوطات محفوظة في بعض المكتبات العربية والأجنبية.

يتألف كتاب التيسير من سفرين، تكلم ابن زهر في مقدمة أولهما عن بعض الطرق المؤدية لحفظ الصحة والوقاية من الأمراض. فبيّن التأثير النافع لبعض العقاقير الملينة للطبيعة، كما تكلم عن التأثير الشافي والواقي للترياق. ثم انتقل للكلام عن تأثير الاستحمام بأنواع المياه. وأخيراً تحدث عن أنواع الخبز والفواكه وفوائدها، وعن مختلف العقاقير المستعملة في الطب الشعبي، بدون تصنيف أو ترتيب. ولعله كان يقصد بذلك إرضاء الأمير الذي طلب منه تأليف كتاب موجز لعلاج الأمراض الشائعة بطريقة يفهمها عامة الشعب.

لم يقسم ابن زهر كتابه إلى أبواب وفصول، لكنه تكلم بعد تلك المقدمة، بصورة علمية ومنهجية، عن أسباب الأمراض التي تصيب الإنسان وأعراضها وعلاجها، بدءاً من الرأس حتى الصدر في السفر الأول. أما في السفر الثاني فقد تكلم عن الأمراض التي تصيب أعضاء البطن وجهازي البول والتناسل. وختم كتابه بذكر ما يحدث في جسم الانسان عموماً من أمراض خارجية وحميّات.

لقد كان عبد الملك ابن زهر أعظم أطباء عصره، بحيث لا تجوز مقارنته إلا بالرازي وابن سينا، كما يقول العالم لوكلير. وقد تمت على يده انجازاتٌ طبيةٌ هامة، منها اكتشافه لهامة الجرب، ووصفه الدقيق للأعراض السريرية لكثير من الأمراض الداخلية والجلدية، كمرض العرق المدِيني وغيره. وحينما فكر الأستاذ الخوري بتحقيق أهم كتبه كان قصده إلقاء الأضواء على هذا الطبيب الذي كنا نجهل الكثير عنه.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد ذكرت فيما سبق أن المرحوم قد توفي قبل أن يظهر كتابُ التيسير لعالم الوجود. لذلك تصدى مجمع اللغة العربية لهذا الأمر فاختار عضوين كريمين لانجاز هذا العمل، فقام الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي بوضع حواشي الكتاب وشرحِ وتصحيحِ بعض الألفاظِ التي وردت فيه. كما قام الأستاذ الدكتور مختار هاشم باستخراجِ الأسماء الأجنبية لجميع العقاقير والنباتات الطبية والمصطلحات العلمية وجعلها في عدة فهارس.

وبهذه الصورة تم ظهور كتاب التيسير في المداواة والتدبير بفضل تعاون أعضاء هذا المجمع العظيم الذي تشرفت بالانتماء إليه. وختاماً أرجو أن أكون قد قدمت في حديثي هذا صورةً صادقةً ومختصرة عن أعمال زميل كريم وعالمٍ جليل هو الأستاذ المرحوم الدكتور ميشيل الخوري، الذي رحل عنا تاركاً فراغاً يصعب ملؤه والسلام.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net